

## المدن الفينيقية والامبراطورية الاشورية في عهد سرجون الثاني

الدكتورة جوسيت ايلاي

ونظراً للأهمية الثانوية للعلاقات بين امبراطورية سرجون والمدن الفينيقية في سياسته . فأنها تذكر باختصار في نصوص سرجون . وعلى اية حال سوف نبحث كافة الوثائق المتوفرة .

تناول الوثيقة الأولى تمرد صيميرا أضطر سرجون في السنة الثانية من حكمه (٧٢٠ ق. م) لمواجهة تحالف شكله أويبيدي ملك همات وصيميرا وعدة مدن أخرى وكانت تدعمه مصر<sup>(١)</sup> . كانت صيميرا مدينة فينيقية تقع على ساحل البحر جنوب جزيرة ارواد، وتعرف الآن بتل كازل<sup>(٢)</sup> كانت صيميرا على خلاف ارواد المجاورة لها قد حولت الى اقليم آشوري في عهد تيكلاث - بيلصر الثالث في عام ٧٣٤ ق. م. وربما كانت حدود هذا الأقليم جبال سانا (زاوي) وجبل عكار في الشرق وربما اقليم بيلوس في الجنوب<sup>(٣)</sup> . وعين شلمنصر الذي تولى العرش فيما بعد بأسم شلمنصر الخامس حاكماً لصيميرا . ويحتمل أنه كان يوجد أكثر من حاكم آشوري واحد لهذا الأقليم . كما تشير الى ذلك سجلات تيكلاث - بيلصر ... هاتاريكا ... باب (لوس) ... صيميرا . ارقا . زيمارا ... اوزنو . (سيانو) . ربراسا . ريسسو ... مدن ... البحر الأعلى اخضعها لحكمي<sup>(٤)</sup> وعينت ستة موظفين حكماً عليها ... « ولا تزودنا الكتابات بأية معلومات حول ظروف انضمام اقليم صيميرا الى التمرد . وربما كانت تشعر بالحسد لأستقلال ارواد المجاورة . ونحن لانعرف ما اذا كان حاكم صيميرا الآشوري قد اشترك في المؤامرة ولكن لو كان الحال كذلك لسجل العقاب السريع بالتأكيد . ولذا نعتقد ان التمرد اقتصر على السكان التابعين . وبشير الكتبة دائماً الى مسؤولية أويبيدي باعتباره المحرض على ذلك التحالف : « سبب أويبيدي تحالف مدن اربادا وصيميرا ضدي ووحدها وأعدتها للمعركة<sup>(٥)</sup> » . قابل سرجون الحلفاء في قرقر حيث أدى النصر الساحق الى اسر أويبيدي واخضاع همات التي حولت الى اقليم آشوري ثم زحف على المدن المتمردة التي عاملها بقسوة : « في وسط تلك المدن وذبح المتمردين ونبت الأنسجام<sup>(٦)</sup> » كانت صيميرا ماتزال عاصمة شمال فينيقيا تحت حكم اسرحدون<sup>(٧)</sup> . ولكنها لم تعد مدينة قوية والأرجح أنها أدمجت بأقليم ارواد تحت الحكم الاخميني<sup>(٨)</sup> . ولم ترد النقيبات في تل كازل حتى الآن معرفتنا بهذه المدينة<sup>(٩)</sup>

تولى سرجون الثاني العرش في عام ٧٢١ ق. م. في آشور . حيث أقام فسي بداية حكمه . ثم حول مقره الى كالح ونيوى وأخيراً دورشروكين ( خورسباد ) . أي أبعد أكثر فأكثر الى الشمال ربما بسبب انشغاله بمشاكل حدوده الشمالية والشرقية . ولكنه بقي يهتم اهتماماً شخصياً بالعاصمة القديمة آشور . وهنما سنتناول سياسة سرجون في المدن الفينيقية<sup>(١٠)</sup>

لم تكن بلاد فينيقيا آنذاك وحدة جغرافية او سياسية ، بل كيانات متجاورة شبه مستقلة ذاتياً ودول مدن ساحلية لها نفس الحضارة والمصالح والتنظيم السياسي . ولكن كتاب سرجون لم يميزوا بين المدن الساحلية والداخلية ما عدا النص الذي يذكر فيه « ملوك الساحل البحري<sup>(١١)</sup> » وفي معظم السجلات الآشورية يعتبر الفينيقيون بأنهم « هاتي » وهو مصطلح لتسمية شعوب غرب البحر المتوسط . ومنذ الحملة الاولى لتيكلاث - بيلصر الأول في حوالي عام ١١٠٠ ق. م. وحتى تيكلاث - بيلصر الثالث العرش في سنة ٧٤٥ ق. م. حافظت المدن الفينيقية على استقلالها الذاتي بدفعها الجزية أحياناً . الى الملوك الآشوريين ( مثلاً تيكلاث - بيلصر الأول وآشورناصر بال الثاني وشلمنصر الثالث واداد نيراري الثالث)<sup>(١٢)</sup> . ولكن تيكلاث - بيلصر الثالث بدأ سياسة جديدة بضم الأقاليم حيث وحدت المدن الفينيقية في اقليم كان بحكمه واحد أو أكثر من الحكام الآشوريين . عدا المدن الرئيسة التي يبدو أنها احتفظت بحكامها ( صيدا بالتأكيد وربما بيلوس وارزاد أيضاً )<sup>(١٣)</sup> ولدى تولى سرجون العرش قرر التوسع في الفتوحات . وكان عليه أن يواجه في كل اتجاه قوى كبيرة تعادل قوته وراحت تتآمر مع الممالك التي تدفع الجزية في مناطق الحدود الآشورية . وكانت تمثل خطراً مستمراً بالنسبة للحكام الآشوريين في المناطق المجاورة . ولذا حاول سرجون أخضاع القوى المستقلة وتحويل الممالك القليلة الى أقاليم آشورية . لم يواجه صعوبات كبيرة في منطقة الحدود الغربية بالمقارنة مع مثاقبه على حدوده الشمالية والشرقية الحافلة بالمشاكل<sup>(١٤)</sup> . بحيث أن معظم جهوده العسكرية كرس لتلك الحدود . وكانت المشكلة الخطيرة الوحيدة المتعلقة بالحدود الغربية هي مكائد مصر التي كان نفوذها كبيراً على ساحل البحر المتوسط وخاصة المدن الفينيقية .

كان العمل الثاني لسرجون ضد المدن الفينيقية اخضاع سبعة من ملوك اباتانا ( قبرص ) . كان الفينيقيون قد أسسوا طيلة قرن واحد أو أكثر مستوطنات في قبرص مثل كيتيون ولايثوس ونازانكا (١٥٠)

ولانعرف على وجه التأكيد ما اذا كان هناك فينيقيون بين الملوك الذين اخضعهم سرجون ولكن لا يوجد سبب للشك في ذلك . وقد ذكر أحياناً أنه لم يكن لكيتيون ملك لأنها كانت مستعمرة تابعة لصور . ولذا لا يمكن ان تعود لتلك القائمة ولكن كتابة من القرن الرابع قبل الميلاد تبين أنه كان لكيتيون ملك محلي وحاكم من صور (١٦٠) . كما ان مسلة قبرص التي تعود الى سرجون التي عثر عليها في عام ١٨٤٥ والموجودة الآن في برلين . نصبت في كيتيون او في ضواحيها في رأي معظم العلماء (١٧٠) . وكان سرجون اول ملك آشوري يخضع ملوك قبرص استناداً الى المسلة : « [ وسبعة ملوك ] من ايا . اقليم في اباتانا . . . اسم بلدهم [ منذ ] الأيام العابرة لزمان اله القمر . لم يسمع أحد من الملوك ابائي الذين عاشوا قبلي به . . . » (١٨٠) ان من المستحيل تحديد أول مرة فرض فيها سرجون الجزية عليهم . يتكرر ذكر هذا الحدث في السجلات الآشورية ولكن بأختصار (١٩٠) . ما عدا في الحوليات التي أتلفت لسوء الحظ عند هذه النقطة ويبدو ان النص الذي يتناول الحملة ضد قبرص يشير الى جزية كانت ترسل سابقاً الى سرجون من قبل الملوك القبارصة (٢٠٠) . واستناداً الى كتابة العرض ومسلة قبرص فقد استسلم الملوك القبارصة . لأنهم شعروا بالخوف من فتوحات سرجون في كالدنيا وبلادهاثي . ولما كانت تلك الانتصارات قد تمت في حوالي بداية حكمه (٢١٠) فلا يمكن استنتاج شيء بالنسبة لتحديد التاريخ . وعلى أية حال فمن الواضح ان سرجون أراد السيطرة على التجارة الفينيقية التي كانت طرفها الرئيسية . تربط المدن الفينيقية الداخلية مع المدن في قبرص . ومن المقطع أعلاه من الحوليات نعلم ان سرجون قام بحملة ضد ملك قبرصي ( او مدينة قبرصية ؟ ) لرفض دفع الجزية وربما تمت الحملة في عام ٧٠٩ ق . م . وربما يعود تاريخ المسلة الى عام ٧٠٩ أو ٧٠٨ أو ٧٠٧ ق . م . أي في زمن الحملة التأديبية (٢٢٠) . وبالنسبة لقبرص اضطر سرجون الى استعمال اسطول في الأقل لنقل جنوده أثناء حملة ٧٠٩ . ولأول مرة في تاريخ بلاد آشور استخدم ملك آشوري اسطولاً لغرض عسكري . وربما كان اسطولاً فينيقياً أو سيليبياً لأن سيليبياً حولت الى اقليم آشوري في ٧١٥ أو ٧١٣ ق . م . وعلى أية حال ليس من المستغرب ، ان المدن الفينيقية المستقلة سياسياً والمنافسة أحياناً قبلت مساعدة الآشوريين في حملتهم ضد المدن القبرصية ( حتى لو كان بعضها فينيقياً ) .

لا بد ان نؤكد ان اخضاع سرجون لملوك قبرص حدث مهم في تاريخ بلاد فينيقيا . وطبيعي أن المدن القبرصية احتفظت بملوكها المحليين . بل ليس من المؤكد مرابطة القوات الآشورية في الجزيرة لأن سرجون اضطر لارسال قواته بالسفن عندما وقعت بعض المشاكل . ولكن كان على المدن القبرصية ان تدفع جزية باهظة واصبحت معظم الموانئ التي كانت لهم معها تجارة مزدهرة تحت الحكم الآشوري ولكن الضحية الرئيسة كانت مدينة صور بلا شك .

ان الوثائق التي تتناول العلاقات بين سرجون وهذه المدينة ليست واضحة تماماً وقد أصبحت صور اقوى المدن الفينيقية لتحويل دمشق الى اقليم آشوري . وبالإضافة الى اراضيها كان اقليم صيدا وكيتيون جزأين من امبراطورية صور التي كانت تحتاج الى قاعدة كيتيون في قبرص لضمان الطرق البحرية الى مستعمراتها . كانت انذاك مملكة تدفع الجزية لحكم ملكها لولي ( اي - لولايوس ) من ٧٢٩ الى ٧٠١ ق . م . ( او ٦٩٤ ق . م ) (٢٥٠) والارجح ان لولي كان احد « ملوك الساحل

البحري » المذكورين في الحوليات الذين كانوا يدعون الجزية الى سرجون (٢٦٠) وتذكر إحدى رسائل نمرود التي يرجح انها تعود الى حكم سرجون ضريبة دفعتها صيدا (٢٧٠) . ونعرف من رسائل نمرود (٢٨٠) أيضاً ان حاكماً آشورياً هو كوردي - اشور - لامور أقام مع وحدة شرطة خاصة ( قوات ايتوا ) في مكان ما في اقليم صور . ربما في اوشو لفرض السيطرة على تجارة خشب الارز . وقد حولت لبت في ظروف معينة بدون الحصول على موافقة مسبقة من ملكة . وكان يعطي الأوامر الى مسؤول آشوري اقل مرتبة ربما كان يقم في صيدا . وكان مراسل خاص ( نابور شيزيب ) يحمل اليه الرسائل من ملك صور وكانت اللغة الرسمية هي الآرامية . وتبين السجلات ان سرجون كان مهتماً بصورة رئيسية بخشب الارز الذي أستعمل في بناء قصره في خور سباد ( خشب الارز من جبل لبنان وجبل ( أمانوس ) (٢٩٠) وفرض الحاكم الآشوري ضريبة على الاشخاص الذين كانوا ينقلون الخشب . واستناداً الى منحوتات خورسباد يمكن القول أن كل اشجار الارز كانت تنقل بحراً من صور الى ارواد (٣٠٠) ومنها كانت ترسل الى عاصمة سرجون الجديدة ربما سوية مع خشب الارز من امانوس .

رغم ان الحاكم الآشوري لم يكن مقيماً في الجزيرة . فان سكان صور كانوا يخضعون لسيطرة محكمة . فثلاً لم يكن الحاكم يسمح لهم ببيع اشجار الأرز الى غير الآشوريين : « وبخلاف ذلك لن اعطيكم حريتمكم ( و ) لن تذهبوا الى الجبل » (٣١٠) . واذا لم يكن تاريخ رسائل نمرود التي كتبها كوردي - اشور - لامور خاطئاً . (٣٢٠) فيبدو ان صور التي كانت تدرك مدى قوتها لم تتحمل حكم سرجون بسهولة . ورغم ان تلك الكتابات مهشمة نستطيع ان نلاحظ ان الحاكم الآشوري واجه بعض الصعوبات بالنسبة للعبيد الذين هربوا وقيام شخص من صيدا بقطع مجرى ماء وهجمة قام بها الأيونيون ( القراصنة ؟ ) وربما عصيان (٣٣٠) ولكن حدثت أمراً خطيراً يظهر أنه عداة سكان صور للحكم الآشوري . ونقرأ في الرسالة الثانية عشر (٣٤٠) ان سكان صور وصيدا هاجموا وقتلوا جامعي الضرائب الآشوريين بحيث ان القوات الآشورية اضطرت لاختضاعهم . وقد زاد عداة صور للحكم الآشوري عندما سيطر سرجون على كيتيون . ولم يقبل لولي ذلك بالطبع والارجح انه تصرف على الفور ( اي بعد عام ٧٠٩ ق . م ) لغرض إعادة الاستيلاء على كيتيون . ويمكن بالتالي الافتراض ان نص جوزيفوس المشوه تناول عمل لولي : « عندما ثار سكان كيتيون ركب البحر واخضعهم » (٣٥٠) وبسبب عمل لولي في قبرص غزا سرجون فينيقيا . واستسلمت له كافة المدن الفينيقية ما عدا جزيرة صور . واستخدم سرجون الاساطيل الفينيقية الاخرى في شن معركة ضد لولي وخسرهما ثم تراجع ووضع الحراس على النهر والقنوات لمنع سكان صور من سحب المياه والحقيقة ان ذلك الحصار الذي دام خمسة اعوام لم يكن حصاراً حقيقياً . لأنه كان لدى سكان صور ابار وخزانات وربما كان بوسعهم جلب الماء بزرار قههم التي لا تبدو انها كانت مشمولة بالحصار . هذا الحدث مذكور فقط في اربع اسطوانات عثر عليها في خورسباد وربما يعود تاريخها الى ٧٠٦ ق . م . (٣٦٠)

اي انها كانت اخر الكتاب من حكم سرجون (٣٦٠) . ولا تذكر الحوليات هذا الحدث لانها لا تشمل السنوات الاخيرة من حكمه . ان فشل حملة سرجون ضد صور يفسر الحملة التأديبية التي شنها سنحاريب ضد لولي في ٧٠١ ق . م والتي يرد ذكرها في نصوص سنحاريب . يبدو هذا الافتراض الجديد الاكثر منطقية لانه مؤيد بكافة الوثائق الكسرية المتوفرة والتي تتناول هذه الأحداث

سرجون . لم يكن هناك سبب يدعو لمضايقة التجارة الفينيقية بل على العكس من ذلك فقد حاول حمايتها لانه كان بمقدوره تقدير المنتجات والصناعة اليدوية الفينيقية كما نستنتج من وثائق كثيرة<sup>(٣٧)</sup>.

كما نشير الى حملته الاخيرة ضد الكيميريين في عام ٧٠٥ ق . م<sup>(٣٨)</sup> . التي ادت الى ان يفقد حياته . اذ يبدو ان المدن الفينيقية على الاقل ان لم يكن غرب آسيا كلها مدينة لخلاصها من الغزو الى هذه الحملة .

وباختصار لم يغرسحق تمرد صيميرا من وضعها . ولكن يبدو انه ادى الى تقليل رفايتها . ان اخضاع سبعة ملوك قبارصة يعني انه منذ ذلك الحين . واضطرت المدن الفينيقية للقيام بالتجارة تحت الاشراف الاشوري . وقد تحمل سكان صور تلك السيطرة نوعاً ما حتى حوالي نهاية القرن الثامن قبل الميلاد عندما تمردوا . واستعادوا كيتيون مما ادى الى حملة سرجون الفاشلة ثم الحملة الظافرة لسنجاريب وتقسيم امبراطورية صور . ولكن طالما كانت المدن الفينيقية تقبل حكم

## الهوامش :

1. S. Moscati, *L'epopee des Pheniciens* ( Paris, 1969), pp. 36 - 47
- J. Elayi. Lessor de la Phenicie et le passage de la do domination assyro - babylonienne a la domination peres, *Baghdader Mitteilungen* ( 1978 ): 33 - 36 (with reference).
2. D. D. Luckenbill, *Ancient records of Assyria and Babylonia* . vol. 2 ( Chicago, 1924), p. 7, 9 18 ( Annals).
3. *CAH*, vol. 3, pp. 43 - 60
4. According to Moscati, op. cit., p. 41
5. For Sargon's campaigns on Cilicia, cf. J. Elayi - A. Cavigneaux, "Sargon II et les Ioniens", *OA* 18 ( 1978): 59 - 75
6. *CAH*, vol. 3, pp. 56 - 57; Elayi, loc. cit.: 32
7. M. Dunand - N. Saliby, "A la recherche de Simyra", *AAS* 7 ( 1957 ): 3 - 16; M. Dunand - A. Bouni - N. Saliby "Fouilles de Tell Kazel . Rapport preliminaire" *AAS* 14 ( 1964 ): 3 - 14<sup>9</sup> J.p. Rey - Coquais Arados et sa pere ( Paris, 1974), pp. 101 - 104
8. According to Forrer, *Provinzeinteilung; des assyrischen Reiches* ( Leipzig, 1920), pp. 56 - 57
9. J. B. Pritchard, *Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament* ( Princeton, 1955), p. 283
10. Luckenbill, op. cit., pp. 27, 9 55 ( Display Inscription); 3, 9 5 ( Annals ); 70, 9 70 ( Assur charter).
11. *Ibid.*, p. 27, 9 55 ( Display Inscription).
12. Elayi, loc. cit.

٣٢ - استناداً الى ( Saggs ( loc. cit : 126 ff. ) تعزى الرسائل الأنتا عشرة الى الفترة بين النصف الأخير من حكم تيكلاث - يلصر الثالث والنصف الأول من حكم سرجون . والأرجح أن الرسائل النسي كتبها كوردي - آشور - لأمور تعزى الى حكم سرجون .

Cf. H. Tadmor, "The Campaign of Sargon II of Assur", *JUS* 121 1958 I: 94).

33. Saggs, loc. cit. : 130 - 131 ( Letter XIII ); H.W. Saggs, "The Nimrud Letters, 1952 - POrt VI, *Iraq* 25 ( 1963 ): 76 ff. (letter LXIX).

34. Saggs, *Iraq* 17: 127 - 130.

35. Josephus, *Ant. J.*, IX, 283 - 287 ( Quoting Alexander Polyhistor, who quotes Menander, who translates the Annals of Tyre).

للاطلاع على مناقشة النظريات المختلفة حول هذا الموضوع قارن مع

Elayi - Cavigneaux, loc. cit: 66 - 67

( باختصار فان حصار الخمس سنوات الفاشل لصور الذي يتحدث عنه جوزيفوس ، لا يمكن أن يعزى الى حكم شلمنصر الخامس لأنه حكم ٥ سنوات فقط وحارب ٣ سنوات في فلسطين ، كما لا يمكن أن يعزى الى بداية حكم سرجون والألكان قد ذكر في الجزء الأول من الحوليات . وعلى أية حال فان هذا الملك النشيط لم يكن ليقبل ان يبدأ حكمه بمثل ذلك الفشل ، بدون ان يرد بقوة . كما لا يمكن ان يعزى الى حكم سنحاريب لأن حملته ضد لولي وصفت بدقة في نصوصه ومن الواضح أنه نجح في الاستيلاء على صور . )

١٣-٢٤ :- مراجع تلاحظ في النص الأجنبي رجاءاً .

٢٥-٣١ مراجع ومصادر تلاحظ في النص الأجنبي رجاءاً .

في هذا المجلد من مجلتنا سومر ص ١٢٩

٣٦-٣٨ مراجع ومصادر تلاحظ في النص الأجنبي رجاءاً .

